



+ آباؤنا القديسون

القديس نيقولاوس

تعيّد الكنيسة المقدّسة الجامعة في السادس من كانون الأول لتذكّار أبينا الجليل في القديسين نيقولاوس رئيس أساقفة ميرا في ليكيا، جنوبي غربي آسيا الصغرى أو ما يعرف بالأناضول وهي "دمري" الحالية. كان نيقولاوس نموذجاً للراعي الصالح لذلك صار في الكنيسة صورة لكل أسقف حافظ الإيمان، يرعى أبناءه بتفانٍ والكنيسة، في صلواتها - السحر والغروب - في كل خميس من كل أسبوع وعلى مدار السنة، تكرم الأساقفة بشخص القديس نيقولاوس فتطلب شفاعته من أجل المؤمنين.

تنوّعت تقاليد إكرام القديس نيقولاوس فصار قديساً لكل ظرف وحاجة. فهو شفيع التلامذة والأولاد العاقلين والفتيات اللواتي لا مهر لهنّ والبحارة والصيادين والعتالين وباعة النبيذ وصنّاع البراميل والتجار والبقالين والقضاة والمسافرين والحجاج والمظلومين والمحكومين والأسرى والصرّافين وغيرهم. ونيقولاوس كلمة يونانية تعني الشعب ينتصر.

ولد نيقولاوس في النصف الثاني من القرن الثالث في باتارا، على بعد ثلاثة أميال من ميرا. كان والده أيفانوس ونونا غنيين جداً مادياً كما كانا غنيين في الفضائل المسيحية السامية، حتى أن الشعب كان يلقّب والده "أبو الفقراء" لكثرة عطاءاته. ويبدو أنه ولد بعد فترة طويلة من زواج والديه واعتبر مولده عطية من الله إذ أن عم الطفل، الأسقف نيقولاوس، عندما كان يؤدي صلاة الشكر على ولادته ظهرت له رؤيا سماوية يعلن الله له فيها أن الطفل سيهيج الكنيسة بفضائله وأعماله الصالحة. وهكذا تربّى نيقولاوس بخوف الله وبزرع فضائل الله في قلبه. عندما كان طفلاً كانت لذته الوحيدة وبهجة قلبه أن يذهب للصلاة في الكنيسة في أوقات الصلاة وغيرها، كما تميّز بنجاحه الباهر في علومه المدرسية واعتبر لاحقاً في عداد رجال الحكمة والفلسفة.

عندما توفي والده حزن ولكنه شرع في استخدام الأموال التي ورثها في عمل الخير. ويحكى أنه علم بأمر رجل كان غنياً وقسا عليه الدهر فافتقر وكاد يصل به الأمر إلى دفع بناته الثلاث نحو الزنى لكسب المعيشة، فملاً كيساً من النقود والذهب وألقاه من طاقة منزل ذلك الرجل. شكر الرجل الله وزوّج ابنته الأولى لشاب طيّب بعدما جهّزها. وإذ رأى القديس حسن استعمال الرجل للنقود رمى له كيساً آخر فزوّج ابنته الثانية. وفي المرة الثالثة إنتظر الرجل مجيء نيقولاوس حتى يتعرف عليه ويشكره. حزن نيقولاوس لأن الرجل عرفه فتوسّل إليه ألا يعلم أحداً بالأمر، وهكذا كان، وزوّج الرجل ابنته الثالثة.



+ آباؤنا القديسون

طالب الشعب نيقولاوس كاهنا لهم، فشرطنه عمّه (الأسقف) على بلدته باتارا. وعندما ذهب الأسقف لزيارة الأماكن المقدسة في القدس أوكل الى نيقولاوس إدارة الأبرشية فكان خير وكيل. بعد عودته من الحج لم يعيش عمّه طويلاً وانتقل الى جوار ربّه. خاف نيقولاوس من أن ينتخبه الشعب خليفة لعمّه فقرر الهرب وصعد الى سفينة متوجهة الى اورشليم وانتخب الأسقف يوحنا خلفاً لعمّه. في البحر حصلت رياح شديدة وعواصف وكاد المركب يغرق. صلّى نيقولاوس الى الله فهدأت العاصفة. ولهذا صار شفيحاً للبحارة، حتى أن البحارة اليونان يضعون أيقونته في كل سفنهم. في اورشليم عاش منفرداً في مغارة يقول التقليد ان يوسف ومريم والطفل يسوع لجأوا إليها ليلته هربهم الى مصر. وفي رؤيا طلب الله منه العودة الى ميرا. فأطاع وعاد وعاش مع جماعة متوحدين منقطعين عن العالم. بعد فترة توفي الأسقف يوحنا ولم يستطع آباء الكنيسة إختيار خلف له. فاتفقوا على ان أول كاهن يدخل الكنيسة في الصباح يكون الله قد أرسله لهم. وفي الصباح دخل قديسنا، الكنيسة للصلاة، دون علمه بالأمر، فتمسك به الآباء ليكون رئيس أساقفتهم. توسّلهم فرفضوا معتبرين ان الله انتخبه لهم. اثناء سيامته جاءت اليه امرأة بطفلها الذي سقط في موقدة النار ومات، متوسلة إليه في شأن الطفل. صلّى نيقولاوس ورسم إشارة الصليب على الطفل فعاد حياً. فقدم الشعب التسبيح والشكر لله.

كان مثال الراعي الصالح في الصلاة والخدمة والوعظ والمعيشة. كان يقضي معظم لياليه أمام مذبح الرب متضرّعاً لأجله ولأجل الشعب. ويحكى انه عندما كان يقدّم الذبيحة الإلهية، كان وجهه يشعّ بالنور المقدس. كان يعمل على الاهتمام بحاجات رعيته فيصرف مداخيل الكنائس على خدمة الفقراء والمرضى والمساجين. أما مواعظه فقد حركت الإيمان في نفوس الكثيرين. كما انه مارس التقشّف والصيام كالرهبان وأكثر.

عانى نيقولاوس من الإضطهاد من أجل إيمانه المسيحي على عهد الإمبراطورين ديوكليتيانوس ومكسيميانوس (أوائل القرن الثالث). رفض إنكار المسيح واعترف به علناً. قبض عليه ونُفي مثقلاً بالحديد، وكان يُضرب يومياً بالسياط الموحجة وبقي منفيّاً الى حين إنتصار المسيحية على عهد قسطنطين الكبير. ولما حاول الشيطان محاربة الكنيسة عبر بدعة آريوس كان من أوائل المشتركين في أعمال الجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥ الذي أدان هذه البدعة.

جرت على أيدي القديس نيقولاوس عجائب كثيرة من شفاء مرضى وإقامة موتى وإكثار غلات المزارعين وإنقاذ السفن الغارقة. ويقال أنه أوحى يوماً في الصلاة إلى سفينة محملة بالقمح كانت في عرض البحر فالتجهمت صوب مقاطعة ليكية التي كانت قد حلّت بها مجاعة عظيمة. ويحكى أنه عندما قامت ثورة على الملك قسطنطين في فيرجيا، أرسل الملك ثلاثة قادة لسحق الثورة ففعلوا. ولكن الحساد أقنعوا الملك ووزيره بأن الثلاثة متآمرون مع



+ آباؤنا القديسون

الثوار، فأمر بقطع رؤوسهم في اليوم التالي. خلال الليل صلى الثلاثة وطلبوا شفاعة نيقولاوس. فظهر القديس في الحلم للملك والوزير وأعلن براءة هؤلاء، فأطلقاهم في الصباح التالي.

علم نيقولاوس بقرب انتقاله إلى جوار الرب عبر رؤية سماوية ففرح فرحا عظيما. إحتفل بالقداس الإلهي وودع الشعب وانفرد في الدير حيث اعتراه المرض لأيام وجيزة. وبعد تناول الأسرار المقدسة سلم نفسه للرب ودفن داخل الكنيسة في ميروا. وكان جسده يفيض الطيب على الدوام. وقد داهم قراصنة من باري الإيطالية مدينة ميروا عام ١٠٨٧ وسرقوا جسد نيقولاوس ونقلوه إلى باري حيث كان يفيض الأشفية لمكرميه دائما.

من عجائبه، أن رجلا تقيا اسمه يوحنا عاش في القرن التاسع أنقذ من الغرق بشفاعة القديس نيقولاوس بعدما وقع في مياه بحر القسطنطينية من سفينته التي ضربتها العاصفة. بعدما وجد نفسه في الماء وشارف على الغرق صرخ يا قديس الله أعني، فنقله القديس إلى بيته وكان مبللا بالماء. وذاع الخبر في كل القسطنطينية فسبحوا الله في قديسيه.

تكرم القديس في هذا اليوم كافة كنائس الشرق والغرب، الأرثوذكسية والكاثوليكية والمارونية والسريانية والأرمنية. نذكر أن إسم القديس نيقولاوس عند الموارنة هو "زخيا"، وهو إسم سرياني قريب بمعناه من إسم القديس نيقولاوس. فبشفاعة قديسك العظيم اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.